هروب اليهود من إسرائيل

الجمعة 27 يونيو 2025 02:00 م

كتب: جوزيف مسعد

جوزيف مسعد
أستاذ السياسة العربية الحديثة والتاريخ الفكري بجامعة كولومبيا بنيويورك

أدى الرد الإيراني على العدوان الإسرائيلي الأخير لدفع موجة جديدة من اليهود الإسرائيليين إلى مغادرة المستعمرة الاستيطانية الإسرائيلية. وقد هرع المواطنون الإسرائيليون، ومزدوجو الجنسية، والسياح، إلى المطارات والموانئ في محاولات حثيثة للفرار من البلاد على متن ما يُسمى "أساطيل الفرار" و"رحلات الإنقاذ"، إذ غدا المشهد الأمني في البلاد أكثر خطورة في العامين الماضيين مما كان عليه قبل 7 أكتوبر 2023. ولمواجهة هذه الموجة من الهجرة العكسية الجماعية، اتخذت الحكومة الإسرائيلية قرارا يمنعهم فعليا من المغادرة.

رغم عودة بعض اليهود الإسرائيليين الذين تقطعت بهم السبل خارج البلاد إبّان الحرب الأخيرة، إلا أن هروب اليهود الإسرائيليين الحالي يمثل امتدادا لاتجاه تصاعدي في هجرة اليهود من المستعمرة الاستيطانية في الأعوام الأخيرة.

في ديسمبر 2022، نشرت صحيفة "معاريف" الإسرائيلية تقريرا عن مبادرة جديدة تهدف إلى تسهيل هجرة يهود إسرائيل إلى الولايات المتحدة عقب الانتخابات الإسرائيلية الأخيرة، والتي خُشي من أن تُغير علاقة الدولة الصهيونية بالدين. وقد أعلنت مجموعة "مغادرة البلاد-معا" عن نيتها نقل عشرة آلاف يهودي إسرائيلي في المرحلة الأولى من خطتها. يقود هذه المجموعة الناشط الإسرائيلي المناهض لنتنياهو يانيف غورليك، ورجل الأعمال الإسرائيلي الأمريكي مردخاي كهانا، وقد صرح الأخير قائلا: "رأيت أشخاصا في مجموعات واتساب يتحدثون عن هجرة الإسرائيليين إلى رومانيا أو اليونان، لكنني شخصيا أعتقد أنه سيكون من الأسهل عليهم الهجرة إلى الولايات المتحدة. لدي مزرعة ضخمة في نيوجيرسي وعرضت على الإسرائيليين الانضمام لتحويل مزرعتي إلى كيبوتس.. مع قيام مثل هذه الحكومة في إسرائيل، يجب على الحكومة الأمريكية السماح لكل إسرائيلي يمتلك شركة أو لديه مهنة مطلوبة في الولايات المتحدة مثل الأطباء والطيارين بالهجرة إلى الولايات المتحدة."

كتبت مؤخرا، للإبادة الجماعية المستمرة التي ترتكبها إسرائيل بحق الشعب الفلسطيني.

في الأسبوع الماضي، أصدر مجلس الوزراء الإسرائيلي قرارا يقضي بوقف موجة الهجرة اليهودية المتزايدة، عبر فرض شرط واضح لمغادرة البلاد، وهو الحصول على موافقة مسبقة من "لجنة استثناءات" حكومية. وجاء في نص القرار أن "الحكومة ستضع، عند استئناف الرحلات الجوية التجارية، معايير تنظم آلية النظر في طلبات الخروج من إسرائيل، وذلك من خلال لجنة توجيهية رسمية."

ورغم السماح لبعض المواطنين الأجانب العالقين داخل البلاد -ويقدّر عددهم بنحو أربعين ألفا- بالمغادرة، إلا أنه بناء على تعليمات صادرة عن الحكومة الإسرائيلية، فقد أبلغت شركات الطيران التجارية المواطنين الإسرائيليين الذين يطلبون شراء تذاكر لمغادرة إسرائيل أن الحكومة تمنعها من بيع التذاكر لهم. لكن ذلك لم يمنع عشرات الآلاف من مواصلة المحاولة.

وتُشير التقديرات إلى وجود أكثر من 700 ألف أمريكي ونصف مليون أوروبي من مزدوجي الجنسية يقيمون في إسرائيل. وفي 20 يونيو، قبيل الضربة الأمريكية لإيران، صرّحت المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية، تامي بروس، أن أكثر من 25 ألف مواطن أمريكي تواصلوا مع الوزارة طلبا للمعلومات بشأن مغادرة إسرائيل، والضفة الغربية، وإيران.

ورغم رفض بروس الإفصاح عن تفاصيل تلك الاستفسارات أو التعليق على عمليات إخلاء محتملة، إلا أن المؤشرات تُرجّح أن الغالبية العظمى من هذه الطلبات جاءت من إسرائيل والأراضي المحتلة. وقد ورد في مذكرة داخلية لوزارة الخارجية الأمريكية أن ما يقرب من عشرة آلاف طلب من إسرائيل تم تقديمها في يوم واحد فقط خلال الأسبوع الماضي، ويُرجّح أن يكون هذا الرقم قد تضاعف بشكل ملحوظ منذ ذلك الحين.

في مطلع هذا الأسبوع، أعلنت وزارة الشؤون العالمية الكندية أن ستة آلاف مواطن كندي قد سجلوا أسماءهم داخل إسرائيل عبر قاعدة بيانات الوزارة، فيما سجّل نحو 400 آخرين في الضفة الغربية، في خطوة تمهيدية للفرار من البلاد. واستجابة لهذا الواقع المتوتر، شرعت كندا في تنظيم رحلات جوية، وتوفير حافلات لنقل رعاياها الفارين من إسرائيل إلى كلٍّ من مصر والأردن، أسوة بما قامت به فرنسا وأستراليا

قبلها بأيام قليلة. وفي الوقت ذاته، كان العديد من الأمريكيين قد تمكنوا من مغادرة البلاد بالفعل، عبر مصر، فيما غادر عدد كبير من الألمان عبر الأردن.

وغادر العديد من اليهود الإسرائيليين الآخرين البلاد بحرا إلى قبرص على متن يخوت وقوارب، فيما وصفتها صحيفة هآرتس الإسرائيلية الرئيسة بـ"أساطيل الهروب". وقد لخّصت الصحيفة قرار الحكومة، الذي أصدره وزير النقل ميري ريغيف بمنع المواطنين من مغادرة البلاد، بعبارة لاذعة: "الإسرائيليون مرحّب بهم للعودة إلى ديارهم حيث يعمّ الخطر، ولكن يُحظر عليهم الفرار منه."

في غضون ذلك، كان آلاف البريطانيين -ومن بينهم إسرائيليون يحملون الجنسية البريطانية- يسعون جاهدين للعودة إلى بلادهم، كما أوردت تقارير شبكة BBC.

ولكن مع استمرار الحكومة الإسرائيلية في حظر مغادرة مواطنيها البلاد التي مزقتها الحروب، أعربت "الحركة الإسرائيلية من أجل جودة الحكم" عن قلقها إزاء المعايير التي تمنح بموجبها "لجنة الاستثناءات" التي أنشأها مجلس الوزراء تصاريح الخروج، وأرسلت رسالة إلى النائب العام الإسرائيلي تشكو فيها من أن الحظر ينتهك القانون الأساسي الإسرائيلي.

من المفارقات أنه عندما شنت الولايات المتحدة وإسرائيل حملة دعائية ضد الاتحاد السوفييتي في سبعينيات القرن الماضي لمنح اليهود السوفييت تصاريح استثنائية للهجرة لم تُمنح لمواطنين سوفييت آخرين، كانت دعوة إسرائيل المثيرة تتمثل بشعار "فكوا أسر شعبي"، مرددة بذلك الدعوة التوراتية لـ"فرعون" لفك أسر العبرانيين. أما اليوم، فيبدو أن آلاف اليهود الإسرائيليين يتوسلون نتنياهو، وليس فرعون: "فك أسرنا".